مقدمة الديوان

ابن زيدون[1]

أبو الوليد، أحمد بن عبد الله، المخزومي الأندلسي القرطبي، كان والده فقيهاً، أديباً، وصار ابن زيدون وزيراً لابن جهور، واشتهر آنذاك وعلا قدره، وألقيت إليه مقاليد الأمور، فكان يسوسها بحذق وكياسة ثم نقم عليه مولاه ابن جهور وسجنه، ثم فر هارباً، وأتى المعتضد صاحب إشبيلية، فاستخلصه لنفسه، ومكّنه من أمور البلاد، ثم استوزره ولده المعتمد.

كان مضطرب المشارب ساقته الأقدار لحب ولادة بنت المستكفي، صاحبة الجمال والأدب، وكان يغشاها الوزراء والقادة والأدباء، لكنه سبق أقرانه من أضرم عليه نار الحسد، وتزعم ذلك ابن عبدوس؛ أبو عامر، لكن شاعرنا ابن زيدون راح يكيل إليه رسائل الهزل، حتى أشبعه تقريعاً وسخرية.

كان شاعر حب وغزل، ووصف وخيال، وفي الغزل كالماء الفياض، بعيد غوره، قوي دفقه؛ ضمّن شعره الأمثال والتشابيه والصور البديعيّة.

ولابن زيدون نثر أنيق، دقيق، أشبه الجاحظ، وقارب البحتري، وله رسالتان يعرض بابن عبدوس جِداً وهزلاً، على لسان محبوبته ولادة.

كأن أبو الوليد جلداً صبوراً، يستعطف من يحبّ: حتى لتظنّه طالباً لكنّه وزير أدب، وخلاصة ذهب، قلّ نظيره بين الشعراء حتى لم يتطاول إليه إلا مغرور حاسد.

---

(1) انظر المزيد في: تاريخ الأدب العربي: للزيات (329 - 335). تاريخ الأدب العربي للفاخوري (834 - 839).

شعره محفوظ: وخاصة في حب «ولادة»...

وله في الهجاء شديد لفظ؛ لا ينقص عنه إلا لفظاً، ولو كان شعراً لم ينسه أحد.

كان جليس الملوك، وملك الجلساء، وإشاراته رائعة، وعباراته شائقة، وفيض علمه زاخر، لا تنقصه الدلاء.

وبالنظر إلى هذا الأمير الأديب، فإنما أنا واحد من المعجبين به، وبماء جاء على لسانه في ديوانه، وهو من الدواوين التي تسعد قارئها، وتفتح أبواب المعرفة على مصراعيها، فقد كان شاعرنا ذا باع طويل ولغة سهلة سلسبيلة، وكأس في الهوى ملأى،...

هذا الديوان من فرائد الأدب، ولآلىء الذهب يستحق من الباحثين مزيد اهتمام وليس دون ذلك طائل؛ إلا ضعف الهمم عن رقي القمم.

وقد رأيت أنه في يون ثغرات تلافيتها ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، بشرح لا يطول فيُمَّل، ولا يقصر فيخل، فهو وسط بين طرفين.

وأهم ما عملت في هذا السِّفْر العظيم:

1 - شرحت غريب الكلمات، وأوضحت غوامضها، وترجمت للأعلام والأماكن.

2 - بيَّنت بحور الشعر في بدء كل قصيدة، ورقمت القصائد، ووجدت أنها غير مرتبة ألفبائياً؛ لذا جعلت في الآخر فهرساً أبين فيه من رقم القصيدة موقعها، في غير ما هي فيه هنا؛ لأن جامع الديوان لم ينتبه لهذا، أو أغفله عمداً، لا أدري.

3 - في بعض القصائد أخطاء، ولا شك أنها مطبعية، وإلا فليس يُعقل أن يهفو أو يكبو شاعرنا الأمير، وتلافياً لهذا فقد بيَّنت بيي معكوفتين النص الأقرب للصواب، وأشرت في الهامش إلى ما كان في المطبوع، ومثال

التصويب (ص263، 202، 134، 135، 125، 110، . . .).

4 - بعض قصائد الديوان امتلأت أخطاءً شعرية - وزناً - فصوبت ذلك وفق منظوري؛ ترقيعاً، وأشرت للخطأ هامشياً، وخاصة في المجزوء فأنت ترى أشياء رهيبة، وأخطاء فادحة، أصلحتها، وهذبتها تماماً.

5 - ما كان من أمثال وحكم وتضمين واقتباس. . . أشرت إلى أصله ومقتبسه.

وختاماً: لست بالناقد أمام شامخ المجد والأدب، إنما أنا ممن أُعجب بهذا النحرير، فكان نقد محب، وتصويب مبصر، لا أكثر.

أرجو السداد والهداية، وما توفيقي إلا بالله

أ. عبد الله سنده